معكوك ابدا فافنى عمرها نسيتها بعد وكان بعض السلف يبكي ويقول ليس لي نفسان انما لي نفس واحدة فاذا ذهبت لم اجد اخرى
وقال محمد بن الحنفية ان الله عز وجل جعل الجنة ثمنا لانفسكم فلا تبيعوها بغيرها وقال بعضهم من كرمت نفسه عليه لم يكن للدنيا عنده قدر وقيل له
من اعظم الناس قدرا قال من لم ير الدنيا لنفسه خطرا وانشد بعض المتقدمين ∴ اثامن بالنفس النفيسة ربها ∴ وليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها تملك الاخرى فان انا بعتها ∴ بشيء من الدنيا فذاك هو الغبن ∴ لئن ذهبت نفسي بدنيا اصيبها ∴ لقد ذهبت نفسي وقد ذهب
الثمن

الحديث الرابع والعشرون

عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل انه قال
يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي
كلكم جائع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون
بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني
يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم
واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا
في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي
انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم هذا الحديث خرجه مسلم
من رواية سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن ابي ادريس الخولاني عن ابي ذر وفي اخره قال سعيد بن عبد العزيز كان ابو
ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه وخرجه مسلم ايضا من رواية قتادة عن ابي قلابة عن ابي اسماء الرحبي عن ابي
ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسق لفظه لكنه قال وساق الحديث بنحو سياق ابي ادريس الخولاني وحديث ابي ادريس اتم وخرجه
الامام احمد والترمذي وابن ماجه من رواية شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الله تعالى يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاسالوني الهدى اهدكم وكلكم فقير الا من اغنيته فاسالوني ارزقكم وكلكم مذنب الا
من عافيت فمن علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة فاستغفرني غفرت له ولا ابالي ولو ان اولكم واخركم وحيكم وميتكم
ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على اتقى عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ولو ان اولكم واخركم وحيكم وميتكم ورطبكم و
يابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسال كل انسان منكم ما بلغت امنيته فاعطيت كل سائل منكم ما نقص ذلك من ملكي
شيئا الا كما لو ان احدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه ذلك باني جواد ماجد واحد افعل ما اريد عطائي كلام وعذابي
كلام انما امري لشيء اذا اردته ان اقول له كن فيكون وهذا لفظ الترمذي وقال حديث حسن وخرجه الطبراني بمعناه من
حديث ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ان اسناده ضعيف وحديث ابي ذر قال الامام احمد هو اشرف حديث لاهل
الشام فقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي يعني انه منع نفسه من الظلم لعباده كما قال
تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقال وما الله يريد ظلما للعالمين وقال تعالى وما الله يريد ظلما للعباد وقال عز وجل ان الله لا يظلم
الناس شيئا وقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما والهضم ان ينقص
من جزاء حسناته والظلم ان يعاقب بذنوب غيره ومثل هذا كثير في القران وهو مما يدل على ان الله قادر على الظلم ولكن لا يفعله فضلا
منه وجودا وكرما واحسانا الى عباده وقد فسر كثير من العلماء الظلم بانه وضع الاشياء في غير مواضعها واما من فسره بالتصرف في
ملك الغير بغير اذنه وقد نقل نحوه عن اياس بن معاوية وغيره فانهم يقولون ان الظلم مستحيل عليه وغير متصور في حقه لان
كل ما يفعله فهو تصرف في ملكه وبنحو ذلك اجاب ابو الاسود الدؤلي لعمران بن حصين لما ساله عن القدر وخرج ابو داود وابن
ماجه من حديث ابي سنان سعيد بن سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي انه سمع ابي بن كعب يقول لو ان
الله عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم وانه اتى ابن مسعود
فقال له مثل ذلك ثم اتى زيد بن ثابت فحدثه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وفي هذا الحديث نظر ووهب بن خالد ليس
بذاك المشهور في العلم وقد يحمل على انه لو اراد تعذيبهم لقدر عليهم ما يعذبهم عليه فيكون غير ظالم لهم حينئذ وكونه خلق افعال
العباد وفيها الظلم لا يقتضي وصفه بالظلم سبحانه وتعالى كما انه لا يوصف بسائر القبائح التي يفعلها العباد وهي خلقه فانه

لا يوصف الا با

٥

لا يوصف الا بافعاله لا يوصف بافعال عباده فان افعال عباده مخلوقاته ومفعولاته وهو لا يوصف بشيء منها انما يوصف بما
قام به من صفاته وافعاله والله اعلم وقوله وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يعني انه تعالى حرم الظلم على عباده ونهاهم
ان يتظالموا فيما بينهم فحرام على كل عبد ان يظلم غيره مع ان الظلم في نفسه محرم مطلقا وهو نوعان احدهما ظلم النفس واعظمه
الشرك كما قال عز وجل ان الشرك لظلم عظيم فان المشرك جعل المخلوق في منزلة الخالق فعبده وتالهه فوضع الاشياء في غير مواضعها
واكثر ما ذكر في القران من وعيد الظالمين انما اريد به المشركون كما قال عز وجل والكافرون هم الظالمون ثم يليه المعاصي
على اختلاف اجناسها من كبائر وصغائر والثاني ظلم العبد لغيره وهو المذكور في هذا الحديث وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
في خطبته في حجة الوداع ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وروي
انه خطب بذلك في يوم عرفة وفي يوم النحر وفي اليوم الثاني من ايام التشريق وفي رواية ثم قال اسمعوا مني تعيشوا الا لا تظلموا
الا لا تظلموا الا لا تظلموا انه لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الظلم ظلمات يوم القيامة وفيهما عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا
وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده
مظلمة لاخيه فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يؤخذ لاخيه من حسناته فان لم تكن له حسنات
اخذ من سيئات اخيه فطرحت عليه قوله يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم جائع
الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل
والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم هذا يقتضي ان جميع الخلق مفتقرون الى الله عز وجل في جلب مصالحهم
ودفع مضارهم في امور دينهم ودنياهم وان العباد لا يملكون لانفسهم شيئا من ذلك وان من لم يتفضل الله عليه بالهدى
والرزق في الدنيا فانه يحرمهما في الدنيا ومن لم يتفضل الله عليه بمغفرة ذنوبه اوبقته خطاياه في الاخرة قال تعالى من يهد الله
فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ومثل هذا كثير في القران قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده وقال تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين وقال تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال الله
حاكيا عن ادم وزوجته انهما قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقد استدل ابراهيم الخليل عليه السلام
بتفرد الله بهذه الامور على انه لا اله غيره وان كل ما اشرك معه باطل فقال لقومه افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فان من تفرد بخلق العبد وبهدايته وبرزقه واحيائه واماتته في الدنيا و
بمغفرة ذنوبه في الاخرة مستحق ان يفرد بالالهية والعبادة والسؤال والتضرع اليه والاستكانة له قال الله عز وجل الله
الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون وفي الحديث
دليل على ان الله يحب ان يساله العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوة وغير ذلك
كما يسالونه الهداية والمغفرة وفي الحديث ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله اذا انقطع وكان بعض
السلف يسال في صلاته كل حوائجه حتى ملح عجينه وعلف شاته وفي الاسرائيليات ان موسى عليه السلام قال
يا رب انه ليعرض لي الحاجة فاستحيي ان اسالك قال سلني حتى ملح عجينك وعلف حمارك فان كل ما يحتاج العبد
اليه اذا ساله من الله فقد اظهر حاجته فيه وافتقاره الى الله وذلك يحبه الله وكان بعض السلف يستحيي من الله ان يساله
شيئا من مصالح الدنيا والاقتداء بالسنة اولى فقوله صلى الله عليه وسلم كلكم ضال الا من هديته قد ظن بعضهم
انه معارض لحديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله خلقت عبادي حنفاء وفي رواية مسلمين فاجتالتهم الشياطين
وليس كذلك فان الله خلق بني ادم وفطرهم على قبول الاسلام والميل اليه دون غيره والتهيؤ لذلك والاستعداد له بالقوة لكن
لا بد للعبد من تعليم الاسلام بالفعل فانه قبل التعليم جاهل لا يعلم شيئا كما قال الله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا